دراسة لمجموعة نحتية غير منشورة من واحة الداخلة

A study of an unpublished group Of sculpture from Dakhla oasis

د.حنان الشافعى•

تمثل المجموعة محل الدراسة عملاً نحتياً من الحجر الجيرى يبلغ طولها ١٨سم (صورة رقم١) وهى تمثل مجموعة نحتية تتكون من سرير جنائزى ملون تستلقى فوقه إمرأة عارية على جانبها الأيسر، ويجلس عند قدميها شخص بحجم صغير يظهر أنه يغطى الجسد بمادة ما بينما وعند الرأس شخص آخر بقى منه الجزء السفلى فقط، ويبدو أنه يقوم بنفس العمل.

المجموعة غير منشورة وما نعرفه أنها كشفت داخل مقبرة تل الحمام بمنطقة موط فى واحدة الداخلة[١]. وهى تقع على بعد حوالى ٢٠٠ كم إلى الغرب من الواحة الخارجة (صورة رقم٢) وترتبط بها بدرب عين آمور ودرب الغبارة، كما يربطها بوادى النيل الدرب الذى يبدأ من بلدة بلاط وينتهى عند أسيوط وكان هناك طريق يربطها بواحة الفرافرة، وقد عرفت فى النصوص المصرية باسم كنت[٢] استوطنها الانسان منذ عصور ما قبل التاريخ وطوال العصر الفرعونى والعصرين اليونانى والرومانى وتذخر واحة الداخلة بالعديد من المناطق الأثرية منها موط التى عثر فيها على لوحتين من الحجر تؤرخان للأسرتين ٢٢، ٢٥ وتقص نصوصا تتعلق بملكية عيون المياه وهناك موط الخراب التى تضم بقايا قرية سكنية ترجع للعصور المتأخرة[٣].

وتطرح المجموعة محل الدراسة عدة تساؤلات تتعلق بوظيفة هذا العمل الفنى من ناحية وبتاريخه من ناحية أخرى. أما عن الوظيفة. فالواقع أن المنظر المصور يطرح أكثر من احتمال فأول ما يتبادل إلى الذهن عند رؤية جسد ممدد على سرير ويتعامل معه أشخاص آخرون أن الأمر يتعلق بعملية التحنيط (صورة ٣)[٤]، ولكن يتضح لنا بعد الدراسة المتأنية أن الشخص المصور الذى يتعامل مع الجسد يبدو ممثلاً بحجم صغير مقارنة بجحم جسد المرأة الممدة وكذلك الشخص الآخر المفقود الذى يكاد

• آثار يونانية و رومانية- كلية الاداب-فرع دمنهور

(1) د/ وفدى السيد أبو النضر، الأهمية التاريخية الإستراتيجية لصحراء مصر الغربية فى العصر الفرعونى، رسالة دكتوراة غير منشورة، ٢٠٠٨،ص ٣٧ .

(2) Gauthier, dictionnaire des noms geographiques contenues dans les textes hieroglyphiques, I, Lecaire (1925).

(3) د./عبد الحليم نور الدين ، مواقع ومتاحف الآثار المصرية ، مكتب بشارة ، ٢٠٠٥ ، ص ٩٤ .

(4) McKenzie, J., The Architecture of Alexandria and Egypt, yale. univ. Press London, 2007, p. 198, fig 340..

يتساوى فى حجمه مع الأول ولا تظهر فى شخصية هذا الصبى أى ملامح كهنوتية تسمح لنا بالاسترسال فى فكرة التحنيط فهو مصور بشعر كثيف ينسدل على جانبى الرأس ليصل إلى الكتفين وهو عارى تماماً من أى ملابس أو شعارات ترتبط بخدمة المعابد فضلاً عن موضع جسد المرأة على الجانب الأيسر والذراع الممدد بطول الجانب الأيمن وهو مالا يتفق مع الأوضاع المعروفة لعملية التحنيط بحيث تمدد الجثة على الظهر مع وضع اليدين متعاقدين على الصدر فى وضع يشبه مومياء اوزوريس[٥]. أما السرير فهو أيضاً من طراز غير مألوف بعملية التحنيط إذ أنه ينتهى من عند الأرجل بظهر مرتفع بينما الجانب الاخر مسطح بدون (شباك) (صورة ٤). السرير له أربعة أرجل مخروطية مزين بخطوط ملونة وله ظهر واحد .

جدير بالذكر أن عملية تصنيف الأسرة المكتشفة صورها فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى تعتمد أيضا فى أسلوب زخرفة قوائمها ومن هنا يمكن تمييز اتجاهين فى تنفيذها شأنها شأن باقى أنواع الأثاث، وهما الاتجاه المصرى والذى نجده فى الأسرّة ذات القوائم بشكل أرجل الحيوانات أو رأس الأسد (صورة ٥)، والاتجاه اليونانى والرومانى وتكون قوائم الأسرّة إما مخروطية أو مضلعة[٦] (صورة ٦) .

والمثال محل الدراسة من طراز الأسرة ذات القوائم المخروطية، ولقد بدأت صور الأسرة ذات القوائم المخروطية فى الظهور على الأوانى فى بلاد اليونان منذ العصر الهندسى فى القرن الثامن ق.م. ويتضح هذا فى إناء محفوظ بمتحف المتروبوليتان[٧] (صورة ٧). وهناك سرير آخر محفوظ فى متحف برلين تحت رقم ١٠٣٦٢ له ظهر واحد من ناحية الرأس. وجديرٌ بالذكر أن طراز هذه الأسرّة ذات الظهر اختراع رومانى فلم تظهر أمثلة له عند الأغريق أو غيرهم[٨].

أما فى مثالنا محل الدراسة فكما سبق وأسلفنا أن له اربعة أرجل مخروطية ومزين بخطوط ملونة له ظهر واحد (صورة ٨) وقد تمدد جسم المرأة بحيث تلتصق الأرجل بهذا الظهر بينما الرأس فعند الجانب الذى يخلو من أى ظهر أو مسند للرأس وهو أمر غير معتاد للأسرّة المرتبطة بالتحنيط .

إن الإختلاف الواضح فى تكوين العمل النحتى عن ما هو معروف بوجه عام فى مناظر التحنيط يجعلنا نتجه اتجاها آخر نحو فكرة المعالجات الطبية والممارسات

([5]) آلن شورتر، ترجمة د/ نجيب ميخائيل إبراهيم، الحياة اليومية فى مصر القديمة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص ٩١.

([6]) د. / حسين عبد العزيز، دراسة للأثاث فى مصر فى العصر اليونانى والرومانى، رسالة دكتوراه غير منشورة، ١٩٩٠، ص ١٥٨ .

(7) Richter, G., Greek Art, P. 295, Fig 410.

(8) Ransom, c., couches and beds of Greek and Romans, p1.xx1x.greche and latine, 449, (14589).

الصحية عموماً. ويأخذ فى الاعتبار فى هذا الصدد أن العمل محل الدراسة قد كشف فى منطقة تل الحمام. موط فى واحة الداخلة ومن المعروف أن منطقة الواحات كانت وما تزال مناطق استشفائية لجأ إليها القدماء للعلاج من الأمراض الجلدية والالام الروماتزمية[٩].

كذلك نعرف أن المصريين القدماء كانوا يمارسون التدليلكك مع دهن الجسم بزيوت عطرية بغرض تنشيط الدورة الدموية والحفاظ على حيوية الجلد ومظهره الصحى أو استعادة صحة الجلد إذا ما عانى الإنسان من جفاف الجلد[١٠] .

والمنظر الذى لدينا يوضح مادة ذات سمك واضح وقد غطيت بها أجزاء من جسم المرأة بينما أجزاء أخرى لم تغطى بعد وهو ما يقوم به الخادمان اللذان يجلسان عند الرأس وأرجل المرأة، ويبدو أن هذه المادة كانت مادة الشبة[١١] التى نعلم أنها استخدمت فى علاج الحمى والأمراض الجلدية. وخاصة أن الشبة هى واحدة من المواد التى توفرت فى منطقة الواحات الداخلة والخارجة ولذلك فإنه من الطبيعى أن يتبادر إلى الذهن أن ما يحدث فى المجموعة، هو عملية ترتبط بعلاج الجسد عن طريق تغطيته بمادة الشبة على الأرجح لمريضة يرجح أنها مصابة بالحمى مما استدعى تغطية الجسد بكامله بهذه المادة ومما استدعى أيضاً أن يقوم بهذه التغطية شخصان فى ان واحد يبدو أنهما من الخدم الذين ارتبطوا أما بخدمة المرأة نفسها أو بأحد الكهنة الذين يقومون بتلك العلاجات الممارسات العلاجية .

وتوضح الملامح المصورة لوجه الصبى الذى يقوم بالعلاج من شفاه غليظة وأنف أفطس عريض مع الوجنتين الممتلئتين التى ميزت ملامح الصبية الأفارقة الذين كانوا يخدمون كعبيد فى منازل الأثرياء ويظهرون فى الأعمال الفنية، فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى يؤدون خدمات الحياة اليومية لأثرياء المجتمع. وهو الأمر الذى ينأى بنا عن التفكير فى العرض الجنائزى تماماً .

ومما يجعلنا أيضاً أن نستبعد فكرة التدليك أن الوضع الذى صور فيه الخادم المتبقى فى المجموعة النحتية، هو وضع شخص جالس يمدد رجليه أسفل أرجل السيدة ويمد يديه نحو الجسد لتغطيته، فهو فى وضع يقرب من الثبات على عكس المتوقع فى الشخص الذى يقوم بالتدليك والذى يحتاج للتحرك بسهولة بما لا يتيحه وضع الجلوس فدور الخادم هنا هو تغطية الجسد بعناية وليس تدليكه .

---

(9)د./ حسن كمال، الطب المصرى القديم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨.ص ١٨٠ .
Gustave, F., la Medicine Egyptienne de L'Epoque pharaonique ,1956, p. 167

(10) د. / حسن كمال، مرجع سابق ، . ص ١٨١.

(11) د. / حسن كمال، مرجع سابق ، . ص ١٨١ .

غير أن العثور على هذه المجموعة داخل مقبرة يطرح التساؤل عن سبب ايداعها داخل قبر ؟

لقد ارتبط المفهوم الطبى عند القدماء بالمفهوم الدينى الذى يقوم على أسس من استحضار واستلهام القوى الإلهية من أجل تحقيق الغرض من العلاج والدواء فقد ارتبطت معظم الوصفات الطبية بتعاويز سحرية من نوع السحر الجالب للمنفعة (Benefecient magic). والذى ظهرت له العشرات من التمائم والأعمال السحرية التى تختص بكل داء أو خطر صحى قد يصيب الإنسان فهناك تمائم لعلاج المعدة والربو وآلام الرأس والعظام والمفاصل وغيرها[١٢]،وقد ظهر من بين التعاويز والوصفات السحرية، العلاجية نصائح بل وأوامر بوضع العمل السحرى داخل مقبرة لكى تسخر من أجل انفاذه قوى الآلهة وانصاف الآلهة الأرضية التى كان يؤمن بها وبقواها الإنسان القديم[١٣]. فلا عجب إذن فى أن يعثر داخل المقابر على أعمال سحرية تتناول شتى الأغراض. ومما يعزز فكرة التفسير السحرى لهذه المجموعة النحتية أن تنفيذها جاء بشكل يوضح أن منفذها لم يكن يقصد تقديم عمل فنى ابداعى يؤثر فى المتلقى ولعل الحجم الصغير للقطعة يؤكد ذلك فلو أنه كان يريد الابداع الفنى لكان الأولى به أن ينفذ العمل فى كتلة حجرية أكبر تمكنه من تنفيذ تفاصيل دقيقة للعمل، لكن يظهر من تسريحة الشعر لكل من السيدة والخادم أنها متشابهة إلى حد كبير حيث الشعر الكثيف لكلا الشخصين يتخذ شكلا هندسيا عبر الفنان فيه عن الخصلات وتموجات الشعر بخدوش رتيبة تسير فى خطوط تكاد تكون متوازية وينسدل الشعر على جانبى الوجه فى خصلات كثيفة للغاية تنتهى عند الكتفين لكل من المرأة والخادم.

اختلف تنفيذ ملامح الوجه فى كلا الشخصين فالمرأة ذات أنف مدبب وشفاه دقيقة ووجنتين ممتلئين بعض الشيء مع أعين تقترب من الشكل اللوزى وحواجب مستقيمة طويلة. أما الفتى فله جبهة تظهر بها تجعيدات تعبر عن الامتلاء، اسفلها جفون كثيفة وأنف عريض أفطس وفم كبير، الوجه يقترب من التربيع. أما جسد المرأة فيظهر فيه الثديين ممتلئين ومترهليين. وتظهر البطن بارزة نوعا ما مع استدارة منطقة الوسط والفخذين والأرجل ممتلئتين .

إن كل هذه الملامح لاتمكننا فى الواقع من تأيخ دقيق للمجموعة فقد ظهرت صور وملامح الأفارقة من الخدم فى أعمال عبر العصرين البطلمى والرومانى، وكذلك كانت استدارة الفخذين، وانحناءات الجسم صفة من صفات النحت فى مصر فى العصرين مما يجعنا نلجأ إلى شكل السرير (صورة ٩) الذى مدد عليه جسد المرأة. السرير

(12) Bonner, c., studies in magical amulets chiefly greca- Romans- Egyptian, The univ. of Michigan press, 1940, p.310

(13) ايفان كونج، السحر والسحرة عند الفراعنة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص٣٠ .
Rosalie, d., hand book to life in ancient Egypt, fact on file Inc, 1998,p.119.

عبارة عن قاعدة مستقيمة مستوية بظهر مرتفع من جهة واحدة، وأرجل مخروطية عريضة من أعلى وتستدق كلما اتجهنا إلى أسفل زخرفت جوانب قاعدة السرير بخطوط ملونة وكذلك زخرفت الأرجل المخرطية بحزوز دائرية ملونة أما أسفل قاعدة السرير فمزخرفة بخطوط أفقية متوازية وشرائط رأسية عريضة تقسمها إلى أجزاء مستطيلة مع استخدام الألوان الأسود والأحمر فى تلوين هذه الشرائط والخطوط. وجدير بالذكر أن الأسرة من الطراز المخروطى ترجع إلى العصرين البطلمى والرومانى كما أسلفنا الذكر ولكن ظاهرة وجود أسرة بشباك واحد مثل الذى أمامنا ملتصقاً بالأرجل هى ظاهرة رومانية بحتة[١٤](صورة ١٠). ونظرا إلى ملامح التجريد والأرخية الموجودة فى تصفيف الشعر لدى الصبى والسيدة ونسب الجسم بينهما. فالباحثة ترجع هذه القطعة إلى العصر الرومانى المتأخر أى أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الميلادى .

(14) رسم حائطى من مقبرة تيجران بالاسكندرية يرجع الى العصر الرومانى يوضح الأسر ذات الأرجل المخروطية.

- Grimm, Die Romischen Mumie maslten Aus agypten, pl.127, no2

قائمة المراجع العربية

١- ادولف إرمان، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، مصر والحياة اليومية فى العصور القديمة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣.
٢- آلن شوتر، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، الحياة اليومية فى مصر القديمة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧.
٣- إيفان كونج، السحر والسحرة عند الفراعنة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.
٤- جيمس هنرى بريستن، ترجمة حسن كمال، تاريخ مصر من أقدم العصور، القاهرة، ١٩٥١.
٥- حسين عبد العزيز، دراسة للاثات فى مصر فى العصر اليونانى والرومانى، رسالة دكتوراة غير منشورة، ١٩٩٠.
٦- حسن كمال الطب المصري القديم، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٨.
٧- سليم حسن، مصر القديمة، القاهرة، ١٩٤٥.
٨- سمير يحيى الجمال، تاريخ الطب والصيدلة المصرية العصر اليونانى- الرومانى، الجزء الثانى، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٧.
٩- صابر جبره، تاريخ الصيدلية، القاهرة، ١٩٣٧.
١٠- عبد الحليم نور الدين، مواقع ومتاحف الاثار المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥.

قائمة المراجع الأجنبية

1- Bonner, C., Studies in Magical Amulets Chiefly Greaco- Roman-Egyptian, The Univ. of Michigan press, 1940.
2- Breccia, Iscrizioni greche and Latine, 449,(14589).
3- Gauthier, h., Dictionnaire des noms geographique, continues dans les textes Hieroglyphiques, I, Le Cairo,1925.
4-Gustave,f.,La Medicine Egyptienne de L´Epoque pharaonique, 1956.
5- Grimm,Die romischen Mumie masken ausAgypten, pl.,127,No 2.
6- Garrison, History Of Medicine, 4th. Edition New York, 1952.
7- McKenzie, J., The Architecture of Alexandria and Egypt,Yale univ, press 2007.
8- Ransom,C.,Couches and beds of Greek,and Romans,Chicago, 1905.
9- Richter, G., The Furniture of the Greeks, Etruscans, and Romans, London 1966.
10- Greek, Art, New York, 1969.
11- Rosalie, D., Hand book to life in Ancient Egypt, Fact on life Inc,1998.
12- Simon, J., Histoire de L´Ecole d´Alexandrie,2 vols, paris, 1845.

صورة رقم (١)

صورة رقم (٢)

صورة رقم (٣)

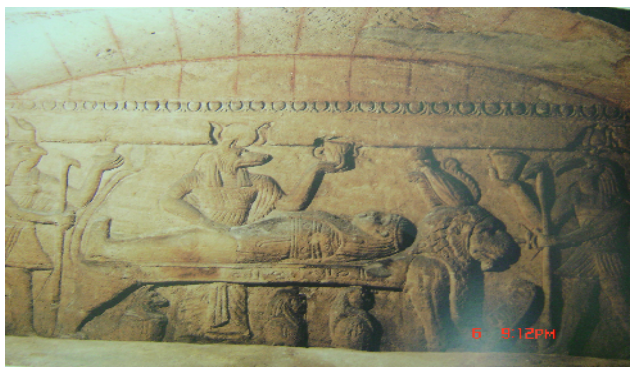

صورة رقم (٤)

صورة رقم (٥)

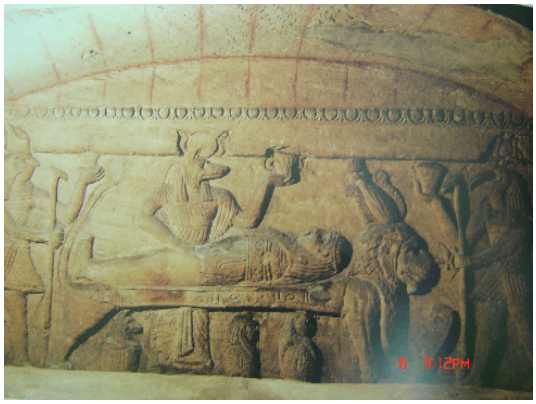

صورة رقم (٦)

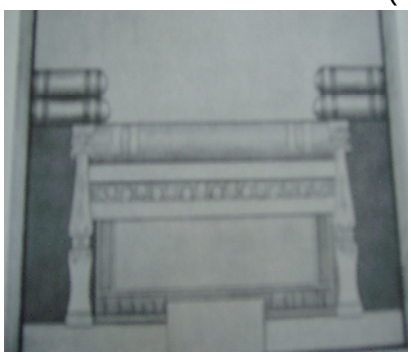

صورة رقم (٧)

صورة رقم (٨)

صورة (٩)

صورة رقم (١٠)